Political Sciences Journal – The Middle East and its strategic dimensions: a theoretical study
Issue (63) **June** (2022) **ISSN**: 1815-5561 **E-ISSN**: 2521-912X

The Middle East and its Strategic Dimensions: a theoretical study

Asst.Prof.Dr. Bashir Hadi Abdul Razzaq
University of Al-Anbar /College of Law and Political Science
besheer20@gmail.com

Receipt date: 3/12/2021 accepted date: 28/10/2021 Publication date: 1/6/2022

https://doi.org/10.30907/jcopolicy.vi63.544

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

Abstract:

The Middle East is distinguished by its geographic, economic and geostrategic characteristics. But it suffers from many problems, such as disagreement over what it means as a concept, or what it represents as a geographical extension. The problem of this research relates to the ambiguity that surrounds the Middle East as a concept and connotations, as well as the controversy over its importance and its geostrategic, geoeconomic and geocultural dimensions. A number of questions arise from this problem, perhaps the most prominent of which are: - Why does not the Middle East as a concept rise to the rank of a term? - Is there a relationship between the multiplicity of concepts in the Middle East and international political and strategic interest- To what extent have the geostrategic characteristics of the Middle East been a magnet for major powers?. So, the research is based on the hypothesis that: The recognition of the vital interests of the influential international powers with the distinctive characteristics of the Middle East region affect their perception and behavior towards this region.

Keywords: The Middle East, the Arab world, the cold war, geostrategy, geocentricism, energy.

مجلة العلوم السياسية – الشرق الأوسط وأبعاده الاستراتيجية: دراسة نظرية
العدد (٦٣) حزيران (٢٠٢٢) E-ISSN: 2521-912X ISSN: 1815-5561

الشرق الأوسط وأبعاده الاستراتيجية: دراسة نظرية

أ.م.د. بشير هادي عبدالرزاق
جامعة الأنبار/ كلية القانون والعلوم السياسية
besheer20@gmail.com

تاريخ الاستلام: ٢٠٢١/١٢/٣ تاريخ قبول النشر: ٢٠٢١/١٠/٢٨ تاريخ النشر: ٢٠٢٢/٦/١

الملخص:

يتميز الشرق الأوسط بخصوصيةٍ جغرافيةٍ واقتصادية وجيوستراتيجية، لكنه يعاني العديد من المشكلات، كالخلاف حول ما يعنيه كمفهوم، أو ما يمثله من إمتدادٍ جغرافي. تتعلق إشكالية البحث، بالغموض الذي يلف الشرق الأوسط كمفهوم ودلالات، وأيضاً بالجدلِ حولَ أهميتهِ وأبعادهِ الجيوستراتيجية والجيواقتصادية والجيوثقافية. تترشحُ عن هذه الإشْكالِيَّة عددٌ من الاسئلةِ، لعلَ أبرزها: لماذا لم يرق الشرق الأوسط كمفهوم الى رُتبةِ الاصطلاح. هل ثَمّةَ علاقة بين تعدد المفهوماتِ لمنطقة الشرق الأوسط، والمصالح السياسية والاستراتيجية الدولية. الى أي مدى شكلت خصائص الشرق الأوسط الجيوستراتيجية، نقطة استقطاب للقوى الكبرى.

ويقوم البحث على فرضيةٍ مفادها: إن إدراك القوى الكبرى المؤثرة لخصائص الشرق الأوسط الاستراتيجية، أثرَ على سلوكها إزاء هذه المنطقة.

كلمات مفتاحية: الشرق الأوسط، الوطن العربي، الحرب الباردة، الجيوستراتيجية، الجيوثقافية، الطاقة.

المقدمة:

منذُ أكثر من قرن، بات الشرق الأوسط كمفهوم، متكئاً مطاطاً لدعاةِ التوسع والهيمنة يضيق ويتسع بحسب مصالحهم وقدراتهم. وبالمثل يعتنقه دعاة التطرف السياسي والصدام الحضاري والمقارنة العرقية اللابريئة، الامر الذي شوش على الكثير هوية المنطقة الحقيقية.. لذلك لا غرابة أن يصبح الشرق الأوسط كمفهوم ودلالة وأبعاد وأهمية..الخ، تنبيهاً ونهباً للمهتمين وفي مقدمتهم الاكاديميين والباحثين. فمع الاعتراف

بان لكل منطقة أهميتها وخصوصيتها، إلا ان خصوصية منطقة الشرق الأوسط هي إحتفاظها بحيويتها الحضارية وقيمتها الاستراتيجية، وذلك على الرغم مما شهدته في تاريخها الحديث والمعاصر من تغيرات كثيرة وعميقة كالمسألة الشرقية وقيام إسرائيل مروراً بمشروعات الوحدة العربية ففشلها وصولا الى احتلال العراق فانتفاضات العقد الثاني من هذا القرن.

تتعلق **إشكالية البحث**، بالغموض الذي يلف الشرق الأوسط كمفهوم ودلالات، وأيضاً بالجدل حول أهميتهِ وأبعادهِ الجيوستراتيجية والجيواقتصادية والجيوثقافية. وتترشحُ عن هذه الإشْكالِيَّة عددٌ من الاسئلةِ، لعل أبرزها:

– لِماذا لم يرق الشرق الأوسط كمفهوم الى رُتبةِ الإصطلاح.

– هل ثَمّةَ علاقةٌ بين تعدد المفهومات لمنطقةِ الشرق الأوسط، والمصالح السياسية والاستراتيجية الدولية.

– الى أي مدى شكّلتْ خصائص الشرق الأوسط الجيوستراتيجية، نقطة إستقطاب للقوى الكبرى.

فرضية البحث، إن إدراك القوى الدوليةِ الكبرى لخصائصِ الشرق الأوسط الاستراتيجيةِ، أثرٌ في سلوكِها إزاءَ هذه المنطقة.

وبِغرضِ الوصول الى حقيقةِ الاشياء، لاسيما في البحث العلمي، فإنهُ يستلزم إستعمال المناهج أوالمداخل العلمية، وهكذا إعتمدَ هذا البحث على عددٍ من المداخل وأينما إستدعت الحاجة، كالمنهج التأريخي والوصفي والتحليلي. وتوزعتْ خطة البحث على محورين. الأول: تطور مفهوم الشرق الأوسط ومرادفاته. والثاني: أهمية منطقة الشرق الأوسط وأبعادها.

المحور الاول: تطور مفهوم الشرق الأوسط ومرادفاته

مُنذُ أن تردَدَ مفهوم الشرق الأوسط في الوسط السياسي والأكاديمي الغربي، وهو يُثيرُ مشكلةٍ بخصوصِ ما يُقصَدُ به سواءٌ كدلالة تُشير الى المكان الذي يستهدفه أم كمفهومٍ بحد ذاته، ومن أجلِ الكشفِ عن ذلك، يتم تقسيم المحور على ثلاث نقاط:

اولاً: التدرج التاريخي لمفهوم الشرق الأوسط

ثَمّةً مَقولةٍ مفادُها (لو أردت فهم الحاضر، فادرس الماضي)، لانَ الماضي لهُ تأثيرٌ على الحاضر. ولعَلَّ التفتيش في تاريخ الشرق الأوسط من أجلِ تحقيقِ ضالتنا، يستحسن تقسيمه على:

١- المرحلة ما قبل الحرب الباردة

بدأ تاريخ الشرق الأوسط الحديث كما يَذكر "برنارد لويس" مع حملة نابليون بونابرت على مصر ١٧٩٨-١٨٠١(برنارد ٢٠٠٠، ١٣). ويُرجع البعض ظهوره الى حقائق جغرافية عندما ينظر الى المنطقة كونها تتوسط القارات الاساسية آسيا وافريقيا واوربا (مداني ٢٠١٨، ٢٤). فيما ينطلق آخرون من رؤية ثقافية ترتبط بالديانة الإسلامية في مقابل الغرب المسيحي، بمعنى ان هذا التوصيف قد انطلق من مخيلة فكرية ايديلوجية وليست موضوعية جغرافية، فهي تعكس نزعة الانا مقابل الآخر. وبدى الشرق يعني بالنسبة للاوربيين حدود الامبراطورية العثمانية التي كانت تتجه نحو التفكك في القرن التاسع عشر، ومعها بدأ التفكير في تقسيم الامبراطورية يتحول الى صراع مصالح – في طبيعة الحال – بين القوى الاوربية الكبرى حينئذ حول خلافة هذه الامبراطورية في ممتلكاتها، وعُرِفَ هذه الصراع في الوسط الاوربي بما يسمى"المسألة الشرقية Eastern Question" (Özal 2011,6). وهو إصطلاح يصف الفصل الدبلوماسي للقرنين الاخيرين من حياة الدولة العثمانية (Prousis1996, 141). وفي ظل هذه الاجواء بدأت بوادر الاهتمام بالمنطقة (الشرق الأوسط) تزداد في الاروقة السياسية والاكاديمية الغربية. وتزايدت الحاجة معها لتوفير معرفة أكبر بميزات الاقاليم خارج القارة الاوربية مع تصاعد الحركة الاستعمارية البريطانية. من هنا يعزو بعض مفهوم الشرق الى

ضابط بريطاني يدعى "توماس جوردون" عندما كتب مقالا بعنوان (مشكلة الشرق الأوسط) وذلك في عام ١٩٠٠ في حين يرى آخرون ان استعمال هذا المفهوم لاول مرة يعود الى حاكم الهند "اللورد كيرزون" (١٨٣٢-١٩١٤) بالاشارة الى مناطق تركيا والخليج العربي وإيران، وهذه تمثل الطريق الى الهند. (منصور ١٩٩٥، ٣٩). ثم وردَ تعبير الشرق الأوسط على لسان ضابط البحرية والجيوستراتيجي الامريكي"الفريد ماهان" في عام ١٩٠٢ متخذاً من منطقة الخليج العربي مركز له، إلا انه لم يضع حدوداً دقيقة، ودعى "ماهان" البريطانيين- محذرا لهم من توجه روسيا نحو المحيط الهندي- بضرورة احكام السيطرة على منطقة الشرق الأوسط كونها تؤدي الى اكبر مستعمراتهم (الهند) (Özal 2011, 8) . وربما كانت هذه الدعوة سبباً دفع كثير من الباحثين في حقل العلاقات الدولية الى الاعتقاد بان "ماهان" أول من أشار صراحة الى الشرق الأوسط، كون الدعوة ذات بعد استراتيجي. من هنا راجت في الاوساط الصحفية البريطانية أيضاً كتابات تناولت ما يجري في منطقه الشرق الأوسط وكان "فالنتاين شيرول" مراسل جريدة التايمز أبرز من كتبوا حول ذلك في عام ١٩٠٤ وقد وسّع"شيرول"هذه المنطقة لتشمل فضلا عن الخليج العربي وسواحله السواحل الشرقية للجزيرة العربية والعراق وبلاد فارس حتى أفغانستان والهند (مداني٢٠١٨، ٢٣). ثم أخذ مفهوم الشرق الأوسط يتنامى على نطاق الدراسات الاكاديمية الاوربية قُبيل الحرب العالمية الاولى. فوردَ على صيغة كتاب بعنوان (مشاكل الشرق الأوسط) أنجزه "أنجيس هاملتون" في عام ١٩١١ (حسين٢٠٠٥، ١٤). ثم في العام نفسه أصدر المستشرق" زويمر"مجلة تحت عنوان"musslim world" العالم الإسلامي (القيسي ٢٠١٤).

لاريب ان تناول مفهوم الشرق الأوسط بهذا المستوى في الوسط الاوربي فرضته حقائق التأزم في علاقات كل من القوتين بريطانيا وفرنسا مع الدولة العثمانية، ثم أصبح مثار اهتمام أكبر بدخول القوتين في صراع بينهما على النفوذ في المنطقة، إنتهى بتقسيمها بموجب إتفاق سايكس بيكو عام ١٩١٦ (مداني ٢٠١٨، ٢٣). وعلى هذا النحو تم

تَأْسِيس جمعية الشرق (EC) وهي لجنة مشتركة بين الادارات في مجلس الحرب التابع للحكومة البريطانية، أُنشئت من المجلس في ١١اذار١٩١٨ وعقدتْ أول اجتماعاتها في ٢٨اذار١٩١٨ وكانت وظيفتها صياغة سياسة متماسكة في شؤون الشرق الأوسط وحل الرؤى المتضاربة للإدارات المعنية (Özal 2011, 9). ثم أدى الواقع التقسيمي لمنطقة المشرق العربي بين بريطانيا وفرنسا بموجب معاهدة سان ريمو في ١٩نيسان١٩٢٠ الى الحاجة لتغيير التعريفات المتعلقة بالشرق الأوسط. وكانت وجهة النظر البريطانية التي طرحت في ٢١اذار١٩٢١بوساطة "ونستون تشرشل" وبمساهمة الجمعية الجغرافية الملكية قد وسّعت من حدود الشرق الأوسط لتمتد من البوسفور الى الحدود الغربية للهند، إذ حتى ذلك الحين كان تعبير الشرق الأوسط يقصد به الشرق الادنى (Özal 2011,9).

إن توالي التفاعلات المتعلقة بالمنطقة أثرت أيضاً في كبار الشخصيات الاكاديمية البريطانية، فقد أطلق المؤرخ والفيلسوف"آرنولد توينبي"على الوطن العربي والعالم الإسلامي بعد إلغاء الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤ تسمية الشرق الأوسط، أما قبل ذلك فكان يدعوها بالعالم الإسلامي (القيسي ٢٠١٤). وتناولت الادبيات العسكرية من جانبها هذا العنوان أيضاً، عندما دمجت بريطانيا في عام ١٩٣٢ بين قيادة قواتها الجوية في العراق مع قيادة قواتها في مصر باسم (قيادة الشرق الأوسط Middle East leadership) وجعلت من القاهرة مقراً لها، ثم أنشأت (مركز تموين الشرق الأوسط Middle East Supply Centre) في اثناء الحرب العالمية الثانية (منصور ١٩٩٥، ٤٠).

٢- مرحلة الحرب الباردة وما بعدها

مُبكراً بعد الحرب العلمية الثانية، أخذ الدور البريطاني في المنطقة يتراجع لصالح الولايات المتحدة، ومعه أصبح مفهوم الشرق الأوسط يتردد على نحو أكبر في أدبيات العلاقات الدولية عندما أولت واشنطن المنطقة مكانة بارزة في سياستها الخارجية. فقد

أنشأت امريكا عام١٩٤٦(معهد الشرق الأوسط) وهذا الاخير وسّع من المساحة التي تتشكل منها المنطقة بانها تشمل (كافة المشرق العربي وباكستان وآسيا الوسطى والاقطار العربية في شمال افريقيا)، ثم بدأت الاوساط الامريكية المهتمة، تعنى بشؤونها بشكل متزايد وأطلقت وزارة الخارجية وكذلك مراكز البحوث والدراسات في الجامعات على المنطقة التي حددها المعهد المذكور بـ(مفهوم الشرق الأوسط) (غنية، ٨٠)، وَصار هذا المفهوم تعبيراً مالوفاً في التصريحات المتعلقة بالسياسة الخارجية لاسيما على لسان الرئيس الامريكي او وزير خارجيته. وهكذا بدأت واشنطن ترسم مشاريعها بخصوص الشرق الأوسط في ظل أجواء الحرب الباردة. وجاءت هذه المشروعات على ثلاثة انماط، عسكرية اقتصادية واصلاحية.

فأما النمط العسكري، فقدْ أتضح من طريق المشروعات والمبادىء العسكرية كمبدأ ترومان"Truman Doctrine" ومبدأ آيزنهاور"Eisenhower Doctrine". وكانت قد صُمِمَتْ هذه المشروعات خصيصاً لمنطقة الشرق الأوسط وللحيلولة دون دخول النفوذ السوفيتي اليها. بعد ذلك أخذ الشرق الأوسط كمفهوم يتضمن أبعادً سياسية واستراتيجية من خلال مايسمى (قضية الشرق الأوسط) وعلى خلفية حرب عام ١٩٦٧. ثم أخذ المفهوم بعداً اقتصاديا مثل نظام الشرق الأوسط والسوق الشرق أوسطية (القيسي ٢٠١٤). وأصدرت الوكالة الامريكية للتنمية الدولية دراسة بعنوان (التعاون الاقليمي في الشرق الأوسط) حيث أكدت على أهمية العمل على بناء ما أسمتهُ تعارف اقليمي في الشرق الأوسط يقوم على مرتكزينِ أساسيين: الجغرافيا والاقتصاد كبديل عن التعاون الاقليمي المبني على أساس قومي سياسي (النظام الاقليمي العربي القومي). كما وضعت بعض المرتكزات الاولية لهذه الرؤية الامريكية خلال هذه المرحلة من قبل "هنري كيسنجر وبرنارد لويس ووليام كوانت". وأكد "كيسنجر" على ان أهم ترتيبات الشرق الأوسط الجديد ينبغي أن تقوم على الحد من التسلح ورعاية التنمية الاقتصادية (عبدالحي ١٩٨٨، ٥١). أما مستشار الامن القومي"انتوني ليك" فَلَقد أشار الى دول

وصفها بدول الارتداد كالعراق وايران تهدد السلام مع إسرائيل وتُهدد منابع النفط وعليه يتطلب لمواجهتها تاسيس احلاف ذات بعد (شرق اوسطي) تقوم على عمليه السلام. وفي هذا السياق يمكن الاشارة الى دراسة عن (النظام الشرق اوسطي الجديد) قام بها كل من معهد السياسة الاقتصادية والاجتماعية للشرق الأوسط في جامعة هارفرد ومعهد واشنطن لسياسات الشرق الادنى والمعهد الدولي لبحوث وسياسات الغذاء في واشنطن. وكانت الدراسة تهدف الى طرح مشاريع تجمع اقتصادي بين إسرائيل واقتصاديات الدول العربية خاصة في فلسطين، الاردن، سوريا، ولبنان (معلوم ١٩٩٣، ١١٢). ولقد أُنيطت بِلَجنةِ العلاقات الخارجية في الكونغرس الامريكي مهمة متابعة مشروع الشرق الأوسط الاقتصادي وتتولى هذه اللجنة الاشراف على مشروع بحثي بعنوان (الولايات المتحدة والشرق الأوسط) وكانت أبرز المشروعات والقمم الاقتصادية التي عقدت برعاية الولايات المتحدة، مؤتمر الدار البيضاء ١٩٩٤ بعنوان (مؤتمر الشرق الأوسط وشمال افريقيا) ومؤتمر عمان الاقتصادي ١٩٩٥ ومؤتمر القاهرة الاقتصادي١٩٩٦. ثم اخذ مفهوم الشرق الأوسط بعد أحداث ١١/ايلول/٢٠٠١ استطالات أبعد في السياسة الامريكية تجاه المنطقة، فكتب عالم السياسية الامريكي""Harkavy بعد الاحداث مباشرة مقالا حول ما أسماه (مفهوم الشرق الأوسط الكبير في ضوء التطورات الجيوسياسية) تكلم فيه عن التطورات الجديدة وتاثيرها على مفهوم الشرق الأوسط. بعد"Harkavy" طرحت شخصيات استراتيجية مثل "رونالدو اسموس" و"كينيث بولاك" (فكرة التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط) وقاموا بنشر وجهات نظرهم كمشروع انتقالي عبر أطلسي جديد وذلك في خريف ٢٠٠٢ وأكد "آسموس وبولاك" ان على الولايات المتحدة أن تاخذ المبادرة لاجل التحول السياسي في الشرق الأوسط بعيد المدى (Özal 2011, 12). ثم توالت المشروعات الامريكية بهذا الخصوص فطرحت إدارة بوش الابن – بتأثير من المحافظين الجدد "ريتشاد بيرل" و"دوغلاس فيث "– في قمة الثمانية عام ٢٠٠٤ ما يُدعى (بمشروع الشرق الأوسط الكبير) كتعبير عن الرؤية

الامريكية للشرق الأوسط (الاصلاحي)، وادعت ان هدفها يتمثل في اصلاح دول الشرق الأوسط (الملتهبة والحاضنة للارهاب والجريمة المنظمة). ويُذكر أن الاوروبيين – كما العرب– قد انتقدوا المشروع الامريكي، وطرحوا مقابله مفهومهم البديل (الشراكة الاستراتيجية للاتحاد الاوربي مع منطقة البحر المتوسط والشرق الأوسط). وفي عام ٢٠٠٦ طرحت الولايات المتحدة مشروع آخر عُرف بـ(الشرق الأوسط الجديد) أعلنت عنه وزيرة الخارجية"كونداليزا رايس" (معلول ١٩٩٣، ٤٤-٤٧). ويعكس هذا المشروع الرؤية الامريكية الجديدة التي تقوم على الاسس العرقية والطائفية. وعلى ما يبدو كان العمل بهذه الرؤية قد سبق طرحها على لسان "كونداليزا وايس"، فقد طبقها الحاكم الامريكي للعراق بعد الاحتلال مباشرة، وقام "بول بريمر"بالاشراف على تكوين مجلس الحكم ثم ما يدعى بالجمعية الوطنية على أُسس طائفية وعرقية. ثم دستور ٢٠٠٥ وما يحمله من جمل مثل (مكونات الشعب العراقي، توازن المكونات: المادة ٩/اولا/أ) (دستور العراق ٢٠٠٥).

ما يعني أن الشرق الأوسط كمفهوم، هو نَتاج القوى الغربية التي تسعى للهيمنة على المنطقة سيما بريطانيا والولايات المتحدة وبالتالي فهو ذو بعد سياسي استراتيجي.

ثانياً: تعدد مفهومات الشرق الاوسط

إن تحليل ودراسة أي حقل معرفي يجب أن يراعي دائما الاشكالات التي تثيرها المفهومات والتعريفات. وبالنسبة للشرق الأوسط من بين اكثر المفهومات التي أثارت جدلا في الاوساط الاكاديمية لاسيما في حقل العلاقات الدولية. فقد عانى ولمدة طويلة الازدواجية مع نظيره الشرق الادنى ومتداخلا مع تعبيري الشرق والمشرق، فلا يحمل هذا المفهوم صفات موضوعية من ناحية التحديد المكاني كما هو الحال في مفهومات آسيا الوسطى وشمال افريقيا، ولا يعد معياراً جغرافيا عاما يمثل استخدامات وجهات النظر المختلفة، بل يحمل المفهوم خصائص مرحلية مرتبطة بعوامل تتغير حسب الاطر الثقافية والسياسية والاستراتيجية المختلفة (أوغلو ٢٠١٠، ١٥٦).وتجلت

الازدواجية المذكورة كإحدى ثمار التنافس والصراع بين بريطانيا وفرنسا منذ توقيع اتفاق سايكس بيكو عام ١٩١٦، ثُم ما تلا ذلك من مشروعات أمريكية وإسرائيلية كـ (الشرق الأوسط الكبير) او(الشرق الأوسط الجديد). إزاء ذلك، نورد طائفة من التصورات بخصوص مفهوم الشرق الأوسط:

١- التصورات / الادراكات الرسمية

أ- التصور الامريكي، ينطلق التصور الامريكي من فكرة تقسيم المنطقة الى شرق وغرب، فتكون دول الخليج العربي مضافاً اليها العراق وايران ضمن منطقة الشرق، بينما تضم منطقة الغرب فلسطين وما جاورها من دول. ويتجاهل هذا التعريف دول المغرب العربي. ثم طرحت ادارة بوش الابن تعريفها الجديد للشرق الأوسط بانه يشمل بالاضافة الى الدول العربية كلا من (باكستان، ايران، أفغانستان، إسرائيل، وتركيا) (الجبوري ٢٠١٣).

ب- التصور السوفيتي- الروسي، وفقاً للتصور الروسي فإن الشرق الأوسط ذو مساحة اكبر، إذ الحقَ السوفيت منطقة آسيا الوسطى ضمن جغرافية الشرق الأوسط، ومعنى ذلك أن الاخير لن يكون ضمن المساحة المكانية بين الشرق الأقصى والشرق الأدنى. وعلى ما يبدو يحمل هذا بعداً جيوسياسياً وجيوثقافياً (أوغلو ٢٠١٠، ٤٩٢-٤٩٣).

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي، طورت روسيا سياساتها معتمدة وجهة نظر جديدة إزاء الشرق الأوسط، إذ تعده حزاماً ليس محكماً يحيط بمجالها الحيوي (منطقة آسيا الوسطى والقوقاز).

ت- التصور الإسرائيلي، تهيمن رؤية الحركة الصهيونية على التصور الإسرائيلي لمنطقة الشرق الأوسط، ووِفقاً لِما جاءَ في بروتوكولات بني صهيون وتضمنها المؤتمر الصهيوني المنعقد في سويسرا سنة ١٨٧٩ بأنها المنطقة الممتدة من تركيا شمالا حتى اثيوبيا جنوبا بما فيها الصومال والسودان، ومن ايران شرقاً الى قبرص وليبيا غرباً. ودعا مؤسس الحركة الصهيونية "تيودور هرتزل" الى اقامة دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨،

وذلك كتوطئة لقيام إسرائيل الكبرى بحدودها المفترضة من النيل الى الفرات (مداني ٢٠١٨، ٢٥). ويؤكد الرئيس الإسرائيلي الاسبق "شمعون بيريس" على ان الشرق الأوسط هي المنطقة الممتدة من ليبيا حتى ايران شرقا وسوريا شمالا واليمن جنوبا فضلا عن باكستان بما في ذلك مصر ولبنان والعراق ودول الخليج العربي. وما من شك، أن التحديد الإسرائيلي للشرق الأوسط يرتكز على رؤيةٍ دينيةٍ وسياسيةٍ وإقتصاديةٍ وإستتراتيجية.

ث- التصور العربي، يأتي التصور العربي ضمن ما يعرف بالنظام الاقليمي العربي الذي يضم الدول العربية كلها وعلى طول الامتداد الجغرافي من الخليج العربي الى موريتانيا. ومن صفاته التماثل من حيث اللغة والتاريخ والثقافة، كما يميل العرب أيضاً الى نعت النظام الاقليمي العربي بالنظام القومي العربي بسبب إرتباط نشأته بظروف الدعوة الى القومية العربية (مداني ٢٠١٨، ٢٥). إزاء ذلك، يرى العرب ان مفهوم الشرق الأوسط ياتي معبراً عن وجهة نظر الغرب ونتاج من نتائج الغزو الثقافي في المنطقة العربية النابع في أصلهِ من قناعةٍ اوربية بالتفوق على الآخر ومركزية اوربا الثقافية.

وتجدر الاشارة الى ان جامعة الدول العربية قد عرَّفَتْ مفهوم الشرق الأوسط في إطار مشروع الدعوة الى خلو المنطقة من اسلحة الدمار الشامل، وهو مشروع عملت عليه الجامعة في آذار عام ١٩٩٣ وتضمن التعريف (ان الشرق الأوسط عبارة عن الاقاليم الخاضعة لسيادة او سيطرة الدول الاعضاء في جامعة الدول العربية) (صلاح الدين ٢٠٠٧).

ج – الامم المتحدة، يمكن ان نستخلص إدراك الامم المتحدة وتصورها للشرق الأوسط من خلال التعريف/التحديد الذي قدمته الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وهي منظمة غير حكومية وأحدي الوكالات التابعة للامم المتحدة وتعمل تحت اشرافها، ومن ثم فان ما يصدر عنها لا بد وان يعبر عن إدراك المنظمة الدولية. فقد حددت هذه الوكالة الشرق

الأوسط في المنطقة الممتدة من ليبيا غربا الى ايران شرقا ومن سورية شمالا حتى اليمن جنوبا. وهذا التعريف يرتكز على ما قدمته الامم المتحدة حول (نزع اسلحة الدمار الشامل من منطقة الشرق الأوسط وعدها خالية من السلاح). ثم عدلته في وقت لاحق، فضمت الدول الاعضاء في الجامعة العربية فضلا عن كل من ايران وإسرائيل (**خليد ٢٠١٤، ٢٤**).

٢- التصورات الأكاديمية

أ- برنارد لويس Bernard Lewis، وهو مؤرخ ومستشرق انجليزي الاصل امريكي الجنسية يهودي الدين. عمل استاذاً للتاريخ في جامعة لندن وجامعة برينستون الامريكية وكان استاذٌ لدراسات تاريخ الشرق الادني (لويس ٢٠٠٠، ٩). يبين "لويس" ان حدود الشرق الأوسط هي حدود العالم الإسلامي فضمن هذا الإطار نما إيمان المسلمين وفيه تطورت على مر القرون حضارتهم (لويس ١٩٦٥، ١٤). واما الشرق الأوسط كمفهوم فغربي النشأة يرجع تاريخه الى بداية القرن العشرين، الامر الذي يدل على عمق تأثير المستعمر الغربي، كما يرى "لويس" (لويس ٢٠٠٦، ٨).

ب- برجنسكي Brzezinski، وهو شخصية أكاديمية وسياسية، أستاذ السياسة الخارجية في جامعة جون هوبكينز، كما شغل منصب مستشار الامن القومي الامريكي في عهد الرئيس كارتر. يرى برجنسكي أن الشرق الأوسط عبارة عن مكونات عرقية ودينية متعددة تجتمع في اطار اقليمي. وعليه سيكون هناك شرق اوسط بتكوين عرقي وديني مختلف على اساس مبدأ ما يسمى دولة الامة، ثم يتحول الي كانتونات عرقية وطائفية في اطار كونفدرالي، الامر الذي يسمح لإسرائيل بالعيش بعد ان تزول فكرة القومية (خليد ٢٠١٤، ٢٦).

ت- احمد داوود أوغلو Ahmet Davutoğlu، يقول البروفيسور "احمد داود أوغلو"استاذ العلاقات الدولية في جامعة مرمرة ورئيس وزراء تركيا السابق (حين ننظر الى النطاق الجغرافي الذي يشمله مفهوم الشرق الأوسط. يتمثل في كونه ساحة التقاء لقارة العالم الاساسية افرواوراسيا. ومن حيث كونه اقليما، تضم هذه الجغرافيا منطقة

غرب اسيا وشمال افريقيا وشرق اوروبا، وعندما نتناولها في اطارها البحري، نرى حدودها تتشكل من السواحل الجنوبية والشرقية للبحر المتوسط والسواحل الجنوبية للبحر الاسود وبحر قزوين فضلا عن ما تضم من بحار وخلجان منها البحر الاحمر والخليج العربي) (أوغلو ٢٠١٠، ٣٥٨).

ث- جورج لنشوفسكي George Lynchowski، استاذ العلوم السياسية بجامعة كاليفورنيا وهو بولندي الاصل، أصبح سفير لبولندا في ايران خلال الحرب العالمية الاولى وزار العراق وبقية بلدان الشرق الأوسط كباحثا في شؤونها ومنقبا. يعرف الشرق الأوسط، بانه يضم جميع البلاد الاسيوية الواقعة في جنوب الاتحاد السوفيتي وغربي باكستان ومصر في القارة الافريقية. وعد ان الشرق الأوسط ملتقى اوربا واسيا وافريقيا ويضيف (ان الشرق الأوسط إذا ما عد جزء من اسيا- حيث يقع معظمه- فانه يقع ضمن المنطقة الوسطى التي تمتد على طول القارة هذه، اي بين خطي عرض ٣٠ و٤٠ درجة تقريبا. وفي شمال المنطقة الوسطى هذه تقع روسيا كما تقع جنوبيها اشباه الجزائر الطرفية من اسيا (لنشوفسكي ١٩٥٩، ٢٠- ٢٢). بينما ينظر آخرون كـ "بريتشو" و"افرون"و"هدسون" الى الشرق الأوسط من زاوية النسق الاقليمي، فيميزون بين ما يسمى دول القلب وما يدعي بدول الاطراف واخرى دول الهامش، وليس بالضرورة ان تستند هذه النظرة على اساس التجاور الجغرافي وحسب، بل على كم ونوع وحيوية العلاقات بين الدول. ووفقا لذلك، تشمل دول القلب (مصر، اسرائيل، الاردن، العراق، سوريا، ولبنان) وفيها تقع اهم التفاعلات السياسية وتشارك في اكثر تفاعلات المنطقة. اما الدول الاطراف فتضم (اليمن، تونس، ليبيا، المغرب) وهذه الدول ليست كسابقتها من حيث كثافة التفاعلات وقد يكون مرد ذلك، الى أسباب سياسية او عوامل جغرافية. في حين تدخل (قبرص، تركيا، الكويت، الجزائر، السعودية، اثيوبيا) في زمرة دول الهامش، وهذه الجغرافيا تكون قريبة من النسق وتعيش على هامشه لعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية أيضاً (خالد ٢٠١٧، ٤٨).

والحق أن إعتماد معيار كثافة دور الدولة في التفاعلات السياسية ليس كافياً ولا موضوعياً لتحديد الإطار الجغرافي لمنطقة ما، فهذا الدور يتغير هو الآخر بين مدة واخرى تبعا لاوضاع الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فبالنسبة لعراق اليوم ليس بالفاعلية والتاثير نفسه في النسق الاقليمي مقارنة بدوره قبل الاحتلال الامريكي عام ٢٠٠٣، في حين تزايد دور الامارات العربية وفاعليتها بعد ذلك العام.

وعلى الرغم من غياب تعريف يحظى بالاجماع لمنطقة الشرق الأوسط فان ثمة ما يشبه الاتفاق بين تعريفات مختلفة لدى المهتمين بشؤون المنطقة، ترى بانها كمساحة جغرافية حقيقية، تشكل خارطة الشرق الأوسط، تشمل البقاع (المصرية والفلسطينية والاردنية والبنانية والسورية والعراقية والخليجية –دول الخليج العربي– واليمنية، فضلا عن البقاع التركية والايرانية) (الربيعي ٢٠١٦، ٧١). وبالتالي، نتفق مع من يعد هذه الاحاطة كـ (تعريف اجرائي).

خريطة الشرق الأوسط

المصدر مستق من: ar.m.wikipedia.org

ثالثاً: المفهومات المرادفة للشرق الأوسط

تحتمل بعض المفهومات مرادفات لها مثل الصراع وما يقاربه من تعبيرات كالتنافس، الازمة، الحرب..الخ. والتفكير الاسترتيجي وما يجاوره من مفهومات كالثقافة

الاستراتيجية والتخطيط الاستراتيجي والادارة الاستراتيجية..الخ. واما بالنسة للشرق الأوسط، فثمة مفهومات نحسبها مرادفة له تتردد على اسماعنا واهمها:

١_ المشرق "Levant"، يعود هذا المفهوم الى العصر الاغريقي ويشير الى المنطقة شرق المتوسط (لبنان، فلسطين، سورية، اليونان، تركيا ومصر) وبذلك فهو لا يعبر عن كل سكان المنطقة التي تدعي اليوم بالشرق الأوسط كونه اقتصر على الدول المذكورة.

٢- الشرق القديم "ancient east"

وأكثر من يستعمله علماء الاثار للاشارة الى الحضارات القديمة كمصر والاناضول والمناطق الغربية من ايران والعراق وفينيقيا. ما يعني ان هذا المفهوم ذو صبغة حضارية خالصة.

٣_ جنوب غرب اسيا "southwest asia"، ويستعمل للدلالة على المساحات التي تمتد من أفغانستان حتى اليمن مرورا بالاناضول وهذا مفهوم جغرافي بحت.

٤_ الشرق العربي "Arab East"، وهو من المفهومات التي تطلق على جزء من منطقة الشرق الأوسط بحدودها الافتراضية الحالية، اما استعماله اليوم فقليل.

٥_ الشرق الادنى"Near East"، بدا استعماله في اوآخر القرن التاسع عشر من الاوربيين، فقد استعمله البريطانيون للاشارة الى المساحات التي تحكمها الدولة العثمانية، ويمتد من منطقة البلقان وشمال اليونان فالجزيرة العربية فضلا عن السودان ومصر وتركيا وسورية وفلسطين ولبنان والاردن. كذلك استخدمه الالمان لتحديد المساحات الارضية التي تضم بحر قزوين والبحر الاسود ومناطق القوقاز الى بحر العرب جنوبا ثم ايران وتركيا الحالية شمالا (رياض ٢٠٠٦، ٢٢١). ثم بدأ مفهوم الشرق الادنى بالضمور وذلك توازيا مع ضمور الدولة العثمانية، ومن ثم هيمنة تعبير الشرق الأوسط بدلا عنه.

٦_شمال افريقيا"North Africa"، يعود استعمال الى سنوات الحرب العالمية الثانية ليدل على المنطقة الواقعة في الصحاري المصرية والليبية، اذ شهدت في تلك المرحلة

معارك بين طرفي الحرب، وتوسع فيما بعد تعبير شمال افريقيا فضم المساحات جنوب البحر المتوسط بما فيها المغرب العربي. علما ان هناك من يدعو الى عدم الخلط بين تعبير شمال غرب افريقيا الذي يضم دول (المغرب والجزائر وتونس) والمعروفة بدول المغرب العربي وبين تعبير شمال شرق افريقيا الذي تنظم تحت دلالته الدولة المصرية والليبية والسودانية (منصور ١٩٩٥، ٤٢).

٧- الوطن العربي"Arab world"، ويقع في نصف الكرة الشمالي باستثناء الاطراف الجنوبية من الصومال، ويمثل خط الحدود الشمالي لسوريا مع تركيا (عند دائرة عرض٣٧،٣٠) درجة تقريبا اقصى امتداد الوطن العربي من ناحية الشمال، في حين يمثل خط الحدود الجنوبي للصومال مع كينيا عند دائرة عرض٢ درجة تقريبا جنوب خط الاستواء اقصى امتداد للاراضي العربية من ناحية الجنوب. وتمتد الاراضي العربية بين خطي طول ١٥ درجة غرباً (عند راس نواذيبو في موريتانيا) و٦٠ درجة شرقا تقريباً (عند راس الحد في سلطنة عمان) (الزوكة ٢٠٠٠، ١٩).

٨- العالم العربي"Arab Homland"، يشتمل هذا العالم على الاجزاء الغربية من منطقة الشرق الأوسط حتى شمال افريقيا والمغرب العربي ومن السنغال الى السودان. تاريخيا يعد الغرب مصدر هذا المفهوم في لحظة نزوعهم نحو التوسع، ويحمل طابعا عرقيا وقد شاع استخدام تعبير العالم العربي كثيرا في دوائر السياسة وفي ادبياتها. فقد بدأ المنظرون في الغرب وبنشاط لافت يروجون لفكرة انه لايوجد عالم عربي واحد وانما توجد عوالم عربية، وفي خلدهم ان التعامل مع كل منها منفردة يتلائم مع مشاريع استعمارها بسهولة ويسر.

٩- الشرق الأقصى"far East"، تردد عند البريطانيين تعبير الشرق الأقصى للاشارة الى المناطق المطلة على المحيط الهادي والهندي وتضم (اليابان، الصين، الهند، ودول جنوب شرق آسيا) (العفيفي ٢٠١٢، ١٤).

١٠- الشرق الأوسط الكبير"Greater Middle East"، ظهر هذا المفهوم في التقرير الاستراتيجي الامريكي لعام١٩٩٥ الصادر عن معهد الدراسات الاستراتيجية التابع للبنتاغون، ويبدو من الخريطة التي تضمنها التقرير ان الشرق الأوسط بمعناه الكبير يشمل (الدول العربية قاطبة مضافاً اليها تركيا، إيران، أفغانستان، اذربيجان وباكستان) (Earl, H1995,71). ثم طرحت الولايات المتحدة فكرة مشروع الشرق الأوسط الكبير بعد احتلال العراق، وكان الغرض منه إيجاد بيئة ملائمة وآمنة تتحقق فيها المصالح الامريكية.

المحور الثاني: أهمية منطقة الشرق الأوسط

تعد خصائص الاقليم الجغرافية والاقتصادية والثقافية والجيوستراتيجية مدعاة للترابط مع نسق النظام الدولي القائم ومحط جذب واستقطاب لقواه الاساسية قد يصل حد الصراع فيما بينها على المصالح، وما يتبعه أيضاً من تأثير متبادل مع الاقليم المعني.

وبالنسبة للشرق الأوسط، فانه ياتي في طليعة الاقاليم من حيث غناه الحضاري والاقتصادي وتفرده الجيوستراتيجي، ولذا بات ساحة للتفاعل الدولي بالامس، وأصبح اليوم كذلك. من هنا سنقسم هذا المحور الى:

أولاً: الأهمية الجيو إستراتيجية

ينقل الدكتور "ممدوح محمود منصور" عن فريدريك راتزل مقولته الشهيرة في اوآخر القرن التاسع عشر (إن من المواقع الجغرافية ما يحقق بذاته قيمة سياسية)، ثم يستفهم (هل يمثل الشرق الأوسط هذه القيمة؟) (منصور ١٩٩٥، ٣٥).

تاريخياً كانت المنطقة التي تدعي اليوم بالشرق الأوسط ذات ثقل محوري دلت على ذلك أمثلة تاريخية تمثلت بحملات التوسع من قوى خارجية آسيوية (جيوش هولاكو) واخرباوربية. ولقد تعزز وصف هذه المنطقة بالمحور مع تطور التنافس والصراع الدولي فيما تلا من قرون، ففي القرن التاسع عشر مثلت الشرق الأوسط ميدانا للصراع الرئيس بين قوى اوربية اساسية- فرنسا وبريطانيا- خارج حدودها الاوربية (لنشوفسكي ١٩٥٩،

٣٩). ثم اصبحت المنطقة في فترة الحرب الباردة مكان للصراع على أشده بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي مامنح الشرق الأوسط أهمية جيوستراتيجية تستند الى سمات المنطقة الجغرافية. إن الباحث في الاهمية الجيوسترتيجية للموقع الجغرافي لا يمكنه تجاهل النظريات الجيوستراتيجية المعروفة كنظرية القلب"Heartland Theory" لـ"ماكندر" ونظرية الاطار"Theory Rimland" لـ"سبيكمان" تلك النظريات التي اظهرت العلاقة بين حيوية المناطق الجغرافية وانجذاب القوى الدولية نحوها. إن موقع الشرق الأوسط في نظرية ماكندر ولاسيما نواته المتمثلة في بلاد العرب تمثل الجسر الرابط بين قلب الارض الشمالي (الاتحاد السوفيتي السابق وايران وأفغانستان وبلوشستان ومرتفعات منغوليا) وبين قلبها الجنوبي (افريقيا جنوب الصحراء الكبرى) (منصور ١٩٩٥، ٥٠). مع ذلك لم يعطي "ماكندر" منطقة الشرق الأوسط المكانة المركزية في تحديد مصير العالم لاعتقاده ان هذه الاهمية ستناط بقلب العالم الشمالي سيما روسيا. وهذا ما جعل نظرية "ماكندر" في مرمي انتقاد اساتذة العلاقات الدولية وأبرزهم "نيكولاس سبيكمان" الملقب بـ(ابو علم الاحتواء). والذي يعتبر أيضاً (الاب الروحي للجيوستراتيجية الامريكية التي مازالت متبعة منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الان) – كما يذكر رئيس الوزراء التركي السابق احمد داود أوغلو – بارتكازها الى سياسة الاحتواء للقلب الشمالي(heartland)" (أوغلو ٢٠١٠، ١٣٠).

وعلى النقيض من "ماكندر" أعطى "سبيكمان" ما يسمى الإطار أو الحزام المحيط الذي يشكل الشرق الأوسط نواته، القيمة الابرز، وذكر بان القوة التي تتمكن من السيطرة على هذا الحزام ستسيطر على كل العالم. ففي نظره ان من يسيطر على الحزام يسيطر على اوراسيا فتتحقق له السيطرة على قلبها او تحييده ومن يسيطر على اوراسيا سيحكم العالم. ويصطف بعض الباحثين في الشان الاستراتيجي الى جانب سبيكمان، من (ان اكتمال مقومات السيطرة العالمية لاتستوجب ان يكون العامل المكاني متوسطا لليابسة). بل قد تكون أي منطقة اخرى في العالم اذا ما توافرت لها المقومات الجيوستراتيجية.

ويعطون لذلك مثالا منطقة الخليج العربي، كونها تمثل بوابة انفتاح نحو ثلاث قارات (آسيا وافريقيا واوربا) وهي الشريان الحيوي الذي يغذي العالم بالطاقة. لذلك شهدت اولى حلقات الصراع بين القوى الاوربية في القرن السادس عشر وما تلاه (فهمي ٢٠٠٤، ١١٤).

إن الباحث في قيمة الشرق الأوسط الاستراتيجية في ضوء المنظورات الجيوستراتيجية سيرى دقة تشخيصها لاسيما نظرية الإطار لـ"سبيكمان" فقد مثل الشرق الأوسط حلقة الوصل لما يعرف بقارة اوراسيا (Eurasia). وعند تفحص خريطة اطلس العالم نرى اقليما بريا تحتوي مساحاته البرية الشاسعة مساحات مائية أيضاً كالبحر الاحمر والخليج العربي المضائق كمضيق هرمز وجبل طارق وقناة السويس ومضيق عدن..الخ. وهذا فضلا عن اعتدال مناخه ما يسهم في تنوع موارده الزراعية وكذلك وفرة موارده الطبيعية والمعدنية. من هناأدخلت الولايات المتحدة الشرق الأوسط ضمن استراتيجيتها الكبرى في مواجهة الاتحاد السوفيتي السابق، فقد تضمن مايسمى (منهج الامن المشترك) الذي تقدمت به وزارة الخارجية الى مجلس الكونغرس سنة١٩٥٢ ما مفاده (تعد منطقة الشرق الأوسط منطقة مهمة لسلامة الولايات المتحدة والعالم الحر) (**لنشوفسكي ١٩٥٩، ٥٩٣**).

وعليه دعمت واشنطن وبشدةحلف بغداد عام١٩٥٥ وحلف السنتو عام١٩٥٨ (بعد خروج العراق من حلف بغداد). كما عقدت الولايات المتحدة تحالفات امنية مع دول الخليج العربي لحماية مصالحها فيه، عضدتها بمبدأ كارتر في ٢٣ كانون الثاني ١٩٨٠ وما ارتبط به من تدابير عرفت بـ(قوات الانتشار السريع).

كما ويمثل الشرق الأوسط من الناحية الجيوسياسية أيضاً جسراً استراتيجيا باتجاه منطقة قلب الارض "Heartland" في القارة الاوراسية، ما يعني بالمقابل ان الرحلة من منطقة القلب نحو محيطها ستكون امراً متيسراً. ولقد بدا اثر ذلك واضحا في حقبة الحرب الباردة (فقد اسفرت الحملات السوفيتية على خط الشرق الأوسط عبر البلقان والقوقاز عن نتائج تركت اثارها على التوازنات الدولية). وبدا اثره واضحا في المرحلة الراهنة

أيضاً، اذ لم تستغرق القوات العسكرية الروسية الا وقتا قصيرا عندما قررت القيادة الروسية التدخل لصالح مصالحها في سورية.

وعلى الرغم من تراجع قيمة الشرق الأوسط لمدة وجيزة بعد انتهاء الحرب الباردة وتراجع حدة الصراع الدولي بتفكك احد اطرافه (الاتحاد السوفيتي) ومعها المظلة الامنية (حلف وارشو)، الا ان هذه القيمة عادت وربما بمستويات اعلى بعد ان اندفعت قوى عالمية كروسيا والصين واليابان والاتحاد الاوربي لمحاولة اخذ دورها في النظام الدولي ما بعد الحرب الباردة، واصبح الشرق الأوسط ميدان لهذا التفاعل الدولي وان كان تحت مظلة القوة الكبرى (الولايات المتحدة)، وقد تجلى ذلك في قيادة التحالف الدولي عام ١٩٩١ في عملية إخراج القوات العراقية من الكويت، ثم تدخل الولايات المتحدة المباشر في المنطقة عام ٢٠٠٣ فاحتلت العراق بحجة امتلاكه اسلحة دمار شامل، وإستمر تواجدها العسكري والسياسي فيه حتى اليوم، وتدخلها في ازمات المنطقة كلها كالازمة السورية او اليمنية او الليبية..الخ. سواء بشكل مباشر او غير مباشر. ولا شك ان هذا الاصرار الامريكي على التواجد في الشرق الأوسط يعكس القيمة المحورية والاستراتيجية لهذه المنطقة في التفكير الاستراتيجي الامريكي، ومن ثم لا يمكن لاية سياسة خارجية رشيدة ان تتجاهل الشرق الأوسط وأثره على بقية مناطق العالم.

ثانيا: الأهمية الجيو إقتصادية

ثمةَ مقومات عززت من مركزية الشرق الأوسط بالنسبة للاقاليم الاخرى في الماضي والحاضر، كبنيته السكانية المعروفة وتركيبته الجيولوجية وطبيعة مناخه وتربته الصالحة للزراعة، فضلا عن تنوع المعادن ومصادر الطاقة الاساسية وكونه حلقة الوصل فيما يتعلق بالنشاط التجاري بين قارات آسيا وافريقيا واوربا، الامر الذي جعله (في مركز التاريخ الاقتصادي–السياسي–العالمي) و(محور اقتصادي – سياسي) (أوغلو ٢٠١٠، ٣٦٦). وما يقال عن جفاف مناخ الشرق الأوسط وندرة مياهه وسعة

مساحاته الصحراوية، فان ذلك لا يصمد امام حقائق التاريخ والتطور التكنولوجي. ولقد زاد من مركزية الشرق الأوسط الاقتصادية – السياسية في العصر الحديث:

١-ظهور الحركة الاستعمارية والصناعية في اوربا وانعكاسها على الشرق الأوسط، فكان على اوربا ان تجسر الهوة في نقص مواردها الطبيعية اللازمة للحركة الصناعية الصاعدة من خلال الحصول عليها من الضفة الاخرى للبحر المتوسط، وبذلك كان الشرق الأوسط يمثل أحد خطوط نقل الموارد الى اوربا. بل واحد مصادرها أيضاً، ما اكسبه وضعية استراتيجية.

٢-تزخر مناطق الشرق الأوسط بمختلف انواع المعادن اللازمة للبنى التحتية والحاجات الصناعية والبشرية.. الخ. ومن بين أبرز هذه المعادن الفحم والحديد اذ تتصدر إيران وتركيا دول الشرق الأوسط في انتاجها، والفوسفات والمنغنيز وتتصدر مصر في انتاجها. وذلك فضلا عن توافر معدن الكروم والنحاس بكميات تزيد عن الحاجة المحلية في الوقت الحاضر.

٣- الطاقة (النفط والغاز الطبيعي)، فانها من اهم ما يميز الشرق الأوسط عن سواه من اقاليم الارض، ويتركز الاحتياطي العالمي من النفط في هذه المنطقة بنحو ٦١ %من الاحتياطي العالمي وتقع مراكز الانتاج الاساسية في ما يسمى المثلث الذهبي (السعودية، العراق وايران) فهذا المثلث الطاقوي يشكل ما نسبته ٩٠ %من نفط الشرق الأوسط. ومن أبرز مزاياه توافره باعماق معتدلة وكون حقوله تنافسية من حيث العدد والاحتياطيات والجودة والاستغلال وتكاليف التطوير التي لا تزيد على ٢ – ٤ دولار امريكي للبرميل، وكذلك سهولة شحنها لقربها من مراسي الشحن البحري ومن ثم فان نفط الشرق الأوسط يتمتع بجاذبية للشركات النفطية العالمية (Yuan ma 2010, 83). وطبقا لبيانات منظمة اوبك فان احتياطيات اعضائها- جلهم من دول الشرق الأوسط- في السنوات العشر الاخيرة ارتفع من ١,٢٠٣ الى ١,٢١٧ مليار برميل. وهذا من مجموع الاحتياطي العالمي البالغ وللمدة نفسها من١,٤٧٩ الى ١,٤٩٣ برميل

(صحيفة الشرق الأوسط، عدد ١٥٠٥٠). وبموجب توقعات اوبك أيضاً، فان أكثر من نصف الاستهلاك العالمي من النفط سيكون من انتاجها.

وبلغة الارقام أيضاً يشكل إستيراد اوروبا من نفط الشرق الأوسط ٦٠% أما اليابان فتستورد ما نسبة(٨٠)%من حاجتها وتستورد الولايات المتحدة كميات ضخمة من نفط الشرق الأوسط على الرغم من سعيها الى تقليل اعتمادها على النفط المستورد بسبب الازمات الحاصلة في المنطقة، ففي عام ٢٠٠٧ على سبيل المثال بلغ حجم الواردات الامريكية من نفط الشرق الأوسط نحو (١٦)%من اجمالي الواردات (Yuan ma 2010, 84).

من هنا كانت منطقة الشرق الشرق الأوسط ومازالت – لا سيما منطقة الخليج العربي– وارتكازا على اهميتها الجيواقتصادية، نقطة استقطاب دولي على نحو لايقارن مع مناطق اقليمية اخرى. ويرى الكثير (ان تاريخ الشرق الأوسط يكاد يقرأ حرفا حرفا من خلال عمليات استثمار النفط) ويقول استاذ العلوم السياسية في جامعة "غرونيل" الفرنسية الدكتور "جاك شوفالييه" (ان تاريخ النفط تاريخ الامبريالية ولا مبالغة بما قيل في هذا المجال فانه من الممكن القول ان النفط صنع الاحداث وصنع التاريخ وصنع السياسة في هذه المنطقة) (عبدالودود ٢٠١٤، ٤). وتعد بريطانيا من اولى القوى الامبريالية التي ركزت في استراتيجياتها على النفط اثناء وبعد الحرب العالمية الاولى فحاولت منذ اندلاع تلك الحرب ان تسيطر على مصادر النفط نظرا لاعتماده كوقود للدبابات والمدرعات والعجلات العسكرية وسواها، حتى قال "اللورد كرزون"(لقد ركب الحلفاء النصر على موجة من النفط) (كلير ٢٠٠٢، ٣٦).

وقال "جورج كليمنصو" الرئيس الفرنسي ايام الحرب العالمية الاولى (ان النفط ضروري كالدم). بل لقد اجل الحلفاء عقد معاهدة الصلح فيما بينهم لحين الانتهاء من معالجة مصالحهم البترولية. وتحدث الرئيس الامريكي "كالفن كوليدج" عام ١٩٢٤ (ان تفوق الامم يمكن ان يقرر بواسطة امتلاك النفط ومنتجاته). فيما قال رئيس الوزراء البريطاني

"ونستون تشرشل" من يملك النفط يملك العالم ويمكن ان يتحكم بقطاعات اقتصادية كاملة). ولم يقتصر الاهتمام بالنفط على صعيد دول الغرب، فقد اثر النفط على سياسة اليابان الخارجية في ثلاثينيات القرن العشرين ودفعها لمحاولة السيطرة على جزر الهند الشرقية، ما دفع الولايات المتحدة الى فرض حظر على توريد النفط الى اليابان عام ١٩٤١، وكان هذا من أسباب رد اليابان بالهجوم على ميناء هاربر الامريكي في ذلك العام (دندن ٢٠١٣، ٦٨).

حقا، لقد كان النفط من أسباب الصراع الدولي منذ اكتشافه في عام ١٨٥٩ فالنفط وكذلك الغاز الطبيعي موضوع معقد وشائك وتتعدد اطرافه، فهو مصلحة ضرورية كما ان الفائض من انتاجه يتوافر في مناطق غير المناطق الصناعية التي تحتاج لديمومة انتاجها، وربطت دول كبرى كالولايات المتحدة بينه وبين امنها القومي، والمثير للاهتمام هو العلاقة بين البترول ومركز القوة في العلاقات الدولية، فقد عزز النفط من تاثير منتجيه في النظام الدولي من خلال التحكم في حجم انتاجه وأسعاره (حقي ٢٠١١، ٣). ويمكن الاشارة هنا الى استخدام الدول العربية لنفطها كورقة ضغط إستراتيجية ضد الدول الغربية عند مساندتها للعدوان الإسرائيلي عام ١٩٧٣. ولعل ذلك من الأسباب الرئيسة التي دفعت الدول الغربية لمحاولة تنسيق سياساتها فيما يتعلق بتامين الطاقة بل درس صناع السياسة في واشنطن موضوع التدخل العسكري في الشرق الأوسط لمنع انقطاع النفط. وربما دفع أيضاً الى تأسيس الوكالة الدولية للطاقة بعد عام من ذلك العدوان. ثم أطلقت الولايات المتحدة مبدأ كارتر عام ١٩٨٠ وتهديدها من خلاله باستخدام القوة لضمان تدفق النفط من منطقة الخليج العربي الى الاسواق العالمية، وعلى ذلك شكلت ما يسمى بقوات الانتشار السريع في المنطقة، وفي مرحلة لاحقة– عام ١٩٩١– أخرجت القوات العراقية من الكويت، ثم اتبعته بزياده قواعدها وقواتها العسكرية في منطقة الشرق الأوسط سيما الخليج العربي. وكانت هذه الاجراءات مشفوعة على الدوام بتاكيدات من رواد السيف والقلم في واشنطن على اهمية الشرق

الأوسط، وفي ذلك يقول "انتوني زيني" القائد العام للقوات الامريكية للفترة من ١٩٧١ – ٢٠٠٠(إن منطقة الشرق الأوسط ذات قيمة واضحة لنا كمصدر للنفط والغاز الطبيعي.. إن الحاجة الى الحفاظ على استقرار الامور هناك هي حاجة حيوية لاقتصادنا) (كلير ٢٠٠٢، ١٥). وفي السياق نفسه تقول"مادلين اولبرايت"سفيرة اميركا في الامم المتحدة وامام مجلس الامن (إننا سنتصرف جماعيا عندما نستطيع وسنتصرف احاديا إذا استلزم الامر لاننا نعتبر هذه المنطقة ذات اهمية قصوى للمصالح الامريكية القومية) (تشومسكي ٢٠٠٦، ١٠).

حقا لقد كانت مصالح الولايات المتحدة النفطية احد ابرز محركات سياستها الخارجية تجاه الشرق الأوسط، وكان من نتائج هذه السياسة في العقدين الاخيرين احتلال أفغانستان واحتلال العراق ومحاولة تصدير الديمقراطية على النمط الامريكي.

من جانبها أدركت روسيا أهمية نفط الشرق الأوسط واصبحت دبلوماسية الطاقة جزء مهم من الدبلوماسية الروسية إزاء هذه المنطقة. فزار رئيس الوزراء الروسي الاسبق "يفغيني بريماكوف" قطر عام ٢٠٠٦ ثم تبعه وزير الخارجية "سيرجي لافروف" وزار الرئيس"فلادمير بوتين" السعودية في عام٢٠٠٧، وكان التعاون في مجال الطاقة عنوان هذه الزيارات، ونسقت روسيا مع هذه الدول بخصوص كميات انتاج النفط وحدود اسعاره، وقامت شركة غاز بروم في تطوير حقول النفط الايرانية على الرغم من العقوبات الامريكية بينما قامت شركة "Tymen" وشركة "Bp" باجراء التنقيبات في العراق واليمن والاردن لمحاولة العثور على النفط والغاز (Yuan ma 2010, 98).

صحيح أن السياسة الروسية في الشرق الأوسط تلتقي احيانا مع نظيرتها الامريكية ازاء بعض القضايا كالغرض الاستراتيجي لما يسمى امن الطاقة وحماية امداداتها، الا ان ذلك لا ينفي وجود خلاف عميق بين السياستين يتعلق بسعي الولايات المتحدة لتعزيز هيمنتها وتفردها العالمي، بينما تسعى روسيا للحفاظ على كونها دولة مستقلة بعيداً عن الاملاءات الامريكية. ويؤكد العديد من المختصين والباحثين، ان الحوار التصارعي

الروسي الامريكي والدولي الاقليمي في سورية بعد عام ٢٠١١ هو بسبب احتمالية اكتشاف احتياطات كبيرة من النفط والغاز فيها، فضلا عن المشروعات المقترحة كمد انابيب نقل المنتجات المماثلة من دول الاقليم الاخرى عبر سوريا الى اوروبا.

الاكيد ان خلافات المصالح وتناقضاتها ليس جديدٌ في تاريخ التفاعل البشري بكل مستوياته (جماعات بشرية او دول) لكن المستجد في العالم اليوم هو التصعيد غير المسبوق في التنافس الاقتصادي للاستثمار في موارد الطاقة البترولية، ويؤكد البعض أن بقاء الاقتصاد الامريكي في حالة التفوق على سواه بل وحتى مستقبل بقاء الولايات المتحدة على قمة هرم السلطة الدولية، مقرون بمدى سيطرتها على مقدرات الشرق الأوسط الطاقوية. وبالتالي فان المصدر الأساس للنزاع والصراع في القرن الواحد والعشرين سيبقى هو التنافس على الموارد. بل ان عوامل مثل العداء والمنافسة السياسية والظلم الاقتصادي ستربط بالنزاعات الراميه الى الوصول الى الموارد الحيوية وامتلاكها كما يقول "مايكل كلير" (كلير ٢٠٠٢، ٣١). ومن ثم، فان محاولة الخوض في مستقبل الشرق الأوسط من زاوية المقاربة الطاقوية تدلنا على زيادة حجم التنافس بين القوى الاساسية في النظام الدولي كالصين، اليابان، فرنسا، بريطانيا، المانيا فضلا عن الولايات المتحدة. وما يدل على ذلك:

١-الانفجار السكاني العالمي، وذلك في ضوء توقع الامم المتحدة بوصول سكان العالم الى (٨) مليار نسمة عام٢٠٢٥ والى (٩) مليار عام ٢٠٥٠ (دندن ٢٠١٣، ٧٦).

٢-التوسع في القاعدة الصناعية والانتاجية التي يدخل البترول كمادة أساسية في استخداماتها.

٣-تلكؤ مشروعات الطاقة المتجددة في تلبية الطلب المحلي بكميات انتاجية كافية (Halder 2015). وإرتفاع تكاليفها مقارنة بالطاقة الاحفورية التي يعد من أهم مصادرها النفط والغاز الطبيعي.

٤-الزيادة الهائلة في الطلب على المشتقات البترولية لا سيما الكازولين والديزل والكيروسين والايثانول بسبب ارتفاع عدد المركبات التي ستبلغ عام ٢٠٤٠ نحو ٢,١ مليار مركبة، على وفق تقديرات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (World Oil Outlook 14, 11).

٥-على الرغم من فداحة الكوارث الطبيعية والبيئية، الا أن تأثيرها في مستويات إنتاج البترول يبقى مرحلياً، فخلافاً لكثير من التوقعات بأن يستمر تراجع حجم الاستهلاك العالمي للبترول لمدة غير محددة بسبب تداعيات جائحة كورونا covid-19، فقد بينت دراسة لوكالة الطاقة الدولية "IEA"، أن الطلب العالمي على البترول سينتعش على المدى القريب بعد نجاح حملات التلقيح ضد الجائحة (IEA 2021, 15). وهو ما تحقق بالفعل بعد تعافي الاقتصاديات العالمية الكبرى، وعودة أسعار البترول الى الارتفاع في هذا العام (٢٠٢١).

ثالثا: الأهمية الجيو ثقافية

تاريخيا، يمثل الشرق الأوسط مركزاً للحيوية البشرية باحتضانه أقدم الحضارات واكبرها كحضارة وادي الرافدين ووادي النيل (قرم ٢٠٠٩، ٣٧). وكان أكثر قدرة من اوربا في العصر الوسيط على استيعاب التنوع الديني والعرقي، فقد حضي النصارى والمجوس واليهود باعتراف رسمي، وتعايش الترك والعرب والفرس والبربر (حداد ٢٠١٦، ٦٦). ويرى "صموئيل هنتنغتون" ان مسألة الاختلافات الحضارية مسألة حقيقية واساسية، فكل حضارة تشتمل على مكوناتها الذاتية كالدين والتاريخ المشترك والثقافة والعادات وهذه تشكل في النهاية هويتها بالنسبة للآخر. وبقدر ما ادى هذا التمايز الحضاري الى نزاعات طويلة وقاسية وفقاً لـ"هنتنغتون" (سعدي ٢٠٠٦، ١١٧). ألّا أن هذا التمايز الحضاري أسهم بالمقابل في إحداث تأثير ايجابي في مسيرة الحضارات عبر مختلف التفاعلات الانسانية كالتبادل التجاري والتلاقح الثقافي..الخ. فقد تأثر المغول بالحضارة الإسلامية واعتنق الكثير منهم الإسلام كدين بدل الوثنية بعد ان دخلوا الى ديار المسلمين كفاتحين. وفي حالة اخرى إمتد الوجود العثماني ولمدة طويلة في آسيا

الوسطى والقوقاز والبلقان، متخذاً من الإسلام ديناً ومعيناً ثقافياً في ادارتهِ وحكمهِ. ومن المفيد هنا، أن نتناول جانبا من ملامح الحالة التركية في توضيح شكل العلاقة بين البنية الجيوثقافية والجيوسياسية، وذلك قبل أن نبين أثر الشرق الأوسط الجيوثقافي على الوضع الدولي. فقد أطلق بعض الرحالة وعلماء السياسة الاوربيين تعبير الشرق الأوسط على منطقة البلقان منذ نهاية القرن التاسع عشر كدلالة على وعيهم بالتمايز الثقافي. ولجاء البوسنيون والالبان الى تركيا ايام حملة الابادة العرقية والطائفية التي اقترفها الصرب بحقهم في تسعينيات القرن المنصرم (أوغلو ٢٠١٠، ١٤٧-١٤٨). ولكن هذه المرة كدلالة على الترابط الجيوثقافي.

أما على صعيد السياسة الخارجية، فقد تحركت تركيا بسرعة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي نحو آسيا الوسطى والقوقاز لمحاولة استعادة دورها بالاستناد الى قاعدتها الثقافية في تلك المناطق من خلال طرح حكومة "اوزال" حينئذ لمشروع (العثمانية الجديدة –New ottoman) وحديثه عن دور تركيا (من سور الصين الى الادرياتيكي) (جاسم ٢٠٠٦، ٢٨٠-٣١٢). واثمرت الجهود التركية عام ٢٠٠٩ في لم شمل الدول الناطقة بالتركية (اذربيجان، قرغيزستان، كازخستان، تركيا) في مجلس يدعى المجلس التركي. ثم انظمت اوزبكستان اليه في ١٥ ت١ ٢٠١٩. وعلى نحو مشابه تحاول تركيا اليوم استعادة دورها في الشرق الأوسط.

إن ما يصدقُ على قبول دور تركيا في آسيا الوسطى، استناداً الى مشتركات التاريخ والثقافة، يصدقُ أيضاً على عدم قبول الاوربيين لتواجدها ضمن صفوفهم في الاتحاد الاوربي. فقد رفض الاوربيون ومازالوا يرفضون طلب تركيا منذ ١٤ نيسان ١٩٨٧ بالإنضمام الى إتحادهم. في حين قبلوا طلبات مماثلة تقدمت بها دول اوربا الشرقية كبولندا وسلوفاكيا وسلوفينيا. ولا شك كان للاعتبارات التاريخية والثقافية دورٌ اساسيٌ في إنضاج الموقف الاوربي هذا.

إن هذه العلاقة بين البنية الجيوثقافية وكذلك البنية الجيوسياسية تتجسد أيضاً في الحالة الشرق أوسطية. فطريقة استعمال مفهوم الشرق الأوسط وما يتصل به من مرجعيات تاريخية، تبين حدود هذه العلاقة الوثيقة. وهذا ما توصل اليه الباحث "دافيسون" – كما يذكر أوغلو– عبر تتبعه للتعرفات المتعلقة بهذا المفهوم. فأشار في النهاية الى تعريف منطقة الشرق الأوسط كونها وحدة جيوسياسية تكونت حول العقيدة الإسلامية. فمن الخصائص الاساسية للشرق الأوسط، هو عمقها الثقافي الممتد في عمقها التاريخي ونتيجة لهذه العلاقة الثقافية وكونها ممتدة على رقعة جغرافية تتوسط القارة الاساسية (افرواورآسيا) فانها احدثت تأثيرات عميقة وحاسمة في تاريخ البشرية وربما أسهم ذلك (في تحويل الشرق الأوسط الى ساحة للمجابهة والمواجهة والمحاسبة الثقافية على المستويين العالمي والمحلي) (أوغلو ٢٠١٠، ١٥٨–٣٦٢). فمنذ قرون قاد الصليبيون حملات عسكرية إستهدفت الوجود الإسلامي في القدس لغرض الاستيلاء عليها، وفي ذلك أطلق صاحب طرابلس"فخر الملك ابن عمار" مقولته (ما ان يستولي الفرنج على حصن حتى يهاجموا آخر، وسوف تتزايد قوتهم حتى يحتلوا بلاد الشام باسرها ويطردو منها المسلمين) (معلوف ١٩٨٣، ١٨٥). وكانت حملة الصليبيين الأولى (١٠٩٦–١٠٩٩) عقب خسارة ملك بيزنطة موقعة (مانزيكرت) مع السلاجقة عام ١٠٧١، ثم تلتها الحملة الثانية (١١٤٧–١١٤٩) فالثالثة (١١٨٩–١١٩٢) فالرابعة (١٢٠٢) ثم حملة اخرى (١٢٢٨–١٢٢٩) انتهت بسيطرة الصليبيين على القدس، بينما بقي الحرم القدسي بايدي المسلمين، وذلك بموجب اتفاق الصليبيين مع "الكامل" ملك مصر في ١١٢٩ (مباركة ٢٠١٢، ٣٧–٣٨).

لا شك ان هذه الحملات تنطلق من رؤية تاريخية ثقافية، بان القدس تضم أهم مقدساتهم وهي كنيسة القيامة وكذلك قبر السيد المسيح حسب اعتقادهم. ومن الزاوية نفسها، ينظر اليهود أيضاً الى القدس، فبالنسبة لهم فيها حائط المبكى(البراق) كما يعتبرونها عاصمتهم التاريخية. اما المسلمون، فللقدس مكانة دينية كبيرة في نفوسهم

ووجدانهم ففيها قبة الصخرة والحرم القدسي الذي ياتي ثالثاً من حيث قدسيته بعد الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وفي العصر الحديث أيضاً، عكست قضية القدس وما يرتبط بها من مثاباة دينية مدى العلاقة بين البنية الجيوثقافية والجيوسياسة، ومن الامثلة على ذلك:

١-تَأْسِيس منظمة المؤتمر الإسلامي- منظمة التعاون الإسلامي حاليا- عام ١٩٦٩. فقد حفّزت جريمة إحراق المسجد الأقصى من قبل أحد اليهود الصهاينة في ٢١اب١٩٦٩ القادة المسلمون على تَأْسِيس هذه المنظمة بعد موجة غضب اجتاحت العالم الإسلامي. وكان موضوع حماية القدس وتحرير الاراضي العربية من بين أبرز موضوعات مؤتمرها الاول الذي عقد في الرباط بتاريخ ٢٤/ايلول/١٩٦٩. وإستمر موضوع القدس يحتل الصدارة في جدول اعمال المؤتمرات اللاحقة. ما يعني ارتباط المسلمين بمقدساتهم (عدوان ٢٠٠٨، ٩٠).

٢- التدخل الروسي في سوريا، اذ يتسم الموقف الروسي بالرسوخ من حيث الاصرار على التواجد في سوريا ودعم السلطة الحاكمة فيها واذا كانت الأسباب السياسية والامنية والاستراتيجية والاقتصادية تقدم تفسيرا لهذا التواجد، فان العنصر القيمي والروحي الذي يجول في الذاكرة المسيحية الارثوذكسية لجل الشعب الروسي ليس اقل اهمية من هذه الأسباب. فاذا عرفنا ان السياسة الخارجية تصنع في الداخل وتنفذ في الخارج، وهي نشاط صناع القرار الذين يتاثرون بثقافة الافراد والنخب، وان هذه الثقافة تمثل (خريطة الطريق الذهنية التي تقدم المعرفة والارشاد للسلوك السياسي) (حموته ٢٠١١، ٦٨). أدركنا حجم تأثير هذه الأسباب والعناصر على السلوك السياسي الخارجي الروسي تجاه ما يجري في سوريا. فمنذ زمن مبكر، التزم القساوسة والامراء الروس باضفاء صفة القدسية لبلادهم (وبانها تحمل رسالة الرب للعالم، وأصبح الحس الرسالي الروسي تجاه العالم أحد مكونات الذاكرة الروسية). وبدا القيصر الروسي حامياً وحيداً للارثوذكس قي العالم. وهكذا تدخلت روسيا القيصرية لدى الدولة العثمانية في

القرن التاسع عشر لحماية الاقليات المسيحية في الرقعة الجغرافية العثمانية، سواءا في البلقان ام في الشرق الأوسط. وقد إستمر هذا الالتزام في الوقت الحاضر، متمثلا في العمليات العسكرية الروسية في سورية، ففي ايلول٢٠١٥ صرح رئيس قسم الشؤون العامة في الكنيسة الارثوذكسية الروسية من طريق وكالة أنتر فاكس الاخبارية الرسمية بـ(ان القتال في سورية ضد الارهاب هو معركة مقدسة وربما تكون بلادنا هي القوة الانشط في العالم التي تقاتله). وكانت الكنيسة الروسية قد طلبت في عام ٢٠١٣ من الرئيس بوتين القيام بما يستطيع لحماية الاقليات المسيحية الموجودة في الشرق الأوسط مما أسمته بالاضطهاد. كما نسقت الحكومة الروسية مع لبنان والفاتيكان لـ(تقديم مشروع بيان لمجلس حقوق الانسان للمسيحيين خاصة في الشرق الأوسط). كما استعمل المسؤولون الروس مفردات ترددت على لسان قادة الكنيسة مثل (تصفية الوجود المسيحي)، (التطهير العرقي)، (تخلي الحكومات الغربية عنهم)، (اخوانهم في الانتماء الحضاري المسيحي) (الخثلان ٢٠١٧، ٧-٢٩).

إن تكرار هذه الجمل على لسان رجال الدين والسياسة في روسيا إنما يشير الى أحد دوافع التدخل العسكري الروسي في سورية.

٣- أما عن دور العامل الثقافي-الروحي في سياسة الولايات المتحدة، فلم يكن اقل تأثيراً منه في الحالة الروسية، تجاه الشرق الأوسط. فمنذ عقود بعيدة كان للانجيليين دور متزايد في سياسة اميركا الشرق أوسطية لاسيما تجاه اسرائيل، ودعا الانجيليون الامريكيون في القرن التاسع عشر رجال السياسة الى حماية اليهود الموجودين في الاراضي المقدسة في الشرق الأوسط من طريق إقامة ملاذات امنة لهم. وقد إستمر الالتزام الامريكي على نحو فريد بامن اسرائيل على حساب العرب والفلسطينيين، ووصف بعض الاصوليين الامريكيين الإسلام بدين الارهاب بعد هجمات ١١ايلول٢٠٠١ (روسل ٢٠٠٦، ٢٥). وتطابقت اهداف الادارة الامريكية بعد هذه الاحداث مع أهداف اليمين المحافظ في (قيادة حملة لمكافحة الارهاب). والمقصود

بالارهاب هنا الإسلام، لان جنسيات المهاجمين من دول اسلامية. ووصف الرئيس الامريكي حينئذ "جورج بوش الابن" حروبه في أفغانستان والعراق بانها (حروب صليبية) و(حروب حضارات) باشارة الى الحضارة الغربية مقابل الحضارة الإسلامية (الغول ٢٠١١، ١٥٣-١٥٦).

أما على الصعيد الادبي والاكاديمي، فقد ربط العديد من الباحثين ومراكز الدراسات الامريكية المتخصصة بين الإسلام وما يمكن ان يشكله من خطر على الغرب، ولعل اطروحة صدام الحضارات لـ"صموئيل هنتنغتون" تعبر عن هذا الاتجاه الفكري المتطرف، يقول إدوارد سعيد (إن هنتنغتون يريد ان ينتهي عالمنا الى حالة صراع ..انه يسعى الى تدبير مشكلة بين الغرب واللاغرب.. وفي هذا السياق هناك اهتمام واضح بالرغبة في فتح معركة مع الإسلام) (سعدي ٢٠٠٦، ٩٦). لقد كانت قضية القدس وما زالت تحتل موقعا مهما في السياسة الامريكية وكان الدور الامريكي حاضرا في معظم جولات التفاوض الفلسطينية الإسرائيلية، ولكن دون أن يعني الحيادية بأي حال، فقد انحازت واشنطن الى جانب السياسات الإسرائيلية، واعترفت ادارة ترامب في ٦ ك١ ٢٠١٧ بكون القدس عاصمة أبدية لاسرائيل وامر "ترامب" بنقل سفارة بلاده اليها.

وبالتالي، يمكن القول ان مسألة القدس وعملية السلام تتعدى كونها مفاوضات بين أطراف سياسية الى كونها تمثل في الاصل أكثر الاديان انتشارا على وجه المعمورة (أوغلو ٢٠١٠، ٣٩٢). وكما كان الشرق الأوسط منطلق هذه الاديان السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلامية) الى أصقاع الارض، يعاني اليوم من تدخل القوى الخارجية وبدوافع شتى منها الدوافع التاريخية والثقافية-الدينية، فلا تكاد تخلو الاستراتيجيات الامنية الغربية او الروسية في الشرق الأوسط من بعد تاريخي- ثقافي. مايدل على مدى/حجم تأثير العامل الجيوثقافي لهذه المنطقة على الوضع الدولي.

الخاتمة:

تَمحورَ هذا البحث حول الإشْكالِيَّة التي يثيرها الشرق الأوسط، مفهوماً وامتداداً وأهميةً. وقد بدى أنهُ موضوع جدليّ فيما يتعلق بدلالات المفهوم وموضِع خِلافٌ حولَ معايير التسمية، ولكنه يحضى بتوافقٍ شُبهِ تامٍ بشأن قيمته الاستراتيجية المتفردة، إزاء ذلك نبين الآتي:

١- يرجع الخلاف والجدل حول مفهوم الشرق الأوسط الى فقدان وجهة نظر موحدة بخصوصه، لأن تحديد المقصود به يتوقف على من أطلق هذا التعبير وهم الاوربيون، فهو لا يشيرالى منطقة بالمعنى الجغرافي الموضوعي الدقيق، ولو كان كذلك لما جاء بدلالات ومرادفات مختلفة او لما اتسع مرة وضاق اخرى، فتارة يقتصر على المنطقة العربية وجوارها واخرى يشمل العالم الإسلامي وربما أبعد. وفي كل ذلك لعِبت حقائق القوة وسياسات المصالح دوراً كبيراً في إحداث تغيير في الحدود التي يعبر عنها المفهوم وجعلته مفهوما متحركاً. بل إن التهافت الكبير للمفاهيم المرادفة للشرق الأوسط، تدُل على مدى إصطناعيته وانه يفتقد الموضوعية. الأمر الذي انعكس على سياسات واستراتيجيات القوى الكبرى ازاء المنطقة، وأيضاً على الوسط الاكاديمي المهتم. فكما ان صحة الاقتران بين الاسم والمسمى تمنحه خصوصيةً وتميزاً، فإن فقدانها مدعاة لتشويه الهوية.

٢- إن تعدد دلالات الشرق الأوسط وغياب الاتفاق إزاء مايعنيه اللفظ حتى الان، ستبقيه مفهوماً متنازعاً فيه، ومن ثم لن يرتقي الى رتبة الاصطلاح.

٣- إن إطلاق تعبير الشرق الأوسط في الاوساط الغربية، ومن ثم نعت سكانه بالتخلف والارهاب والعنف لايخلو من غايات، منها شحذ همم الجنود وتأليب الراي العام وحشده نحو أهداف الحكومات.

٤- إن تزامن ظهور تعبير الشرق الأوسط مع أُفول نجم الدولة العثمانية وإرهاصات الحركة الاستعمارية الجديدة للدول الغربية يدل على نواياها المسبّقة للسيطرةِ على

المنطقة. وبالمثل ياتي إطلاق المشروعات والمفهومات المعاصرة كالشرق الأوسط الكبير والجديد بظروف وهن مماثلة يمر بها الوضع العربي. بل إن ظهور تعبيرات أُخرى كمحور الشر والدول المارقة..الخ، ومن ثم تطوير إستراتيجيات خاصة بها كالاحتواء والاحتلال، انما يؤكد ارتباطها بلحظة تبلور المشروع الامريكي للهيمنة العالمية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، ما يعيد الى الاذهان مثال التفكك العثماني، الذي طُرِحَ في أجواءه مفهوم الشرق الأوسط، ما يدل كذلك على بعده السياسي والاستراتيجي.

٥- إن خصائص الشرق الأوسط الجغرافية والاقتصادية والثقافية منحته قيمة سياسة متواصلة وخصوصية جيوستراتيجية متفردة، فكانت وما زالت نقطة استقطاب للقوى الطامحة والطامعة.

٦- إن الربط بين إستمرار أهمية منطقة الشرق الأوسط والاحتياطات البترولية، لايعني باي حال انها ستفقد هذه الاهمية بدون البترول، إذْ ستبقى جغرافية الارض ومركزية الموقع فضلا عن الارث الثقافي عوامل تمنح الشرق الأوسط قيمة متواصلة، بل ستكون أحد أبرز العوامل تأثيراً في مستقبل بنية النظام الدولي. ولكنها بالمقابل، ستعاني من التدخل الخارجي المستمر في شؤونها، أقلها خطراً لعبة التوازن الاقليمي وأخطرها الاحتلال وكلاهما شر. فهل يستطيع العرب وهم مادة الشرق الأوسط ومركزه، ان يغادروا هذا المصير المحتوم؟ فتاريخهم لاينكر عليهم ذلك. وكنتُ قدْ ذكرتُ في الصفحة الثانية من البحث بديهة مفادها، إن الماضي يؤثر في الحاضر. وهنا أقول، إن المستقبل يؤثر في الحاضر أيضاً، فالتَأْسِيس لشيء مثالي من الناحية النظرية والعملية يرتكز على الحاضر للانطلاق نحو بناء المستقبل.

قائمة المصادر:

أوغلو، احمد داود.٢٠١٠. *العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية*، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

تشومسكي، ناعوم. ٢٠٠٦. *اوهام الشرق الأوسط*، تعريب شيرين فهمي، ط٢، القاهرة: مكتبة الشرق الدولية.

توفيق، سعد حقي .٢٠١١. "التنافس الدولي وضمان امن الطاقة". *مجلة العلوم السياسية* العدد٤٣: ١-٣٠.

جاسم، افراح ناثر. ٢٠٠٦. "توركت اوزال ومشروع العثمانية الجديدة". *مجلة الدراسات الاقليمية* ٣ عدد ٦: ٢٨٠-٣١٢.

حداد، محمد.٢٠١٦. *الاستقطاب الطائفي والديني في الشرق الأوسط*، في كتاب: الشرق الأوسط تحولات الادوار والمصالح والتحالفات، ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

حسين، غازي.٢٠٠٥، *الشرق الأوسط بين الصهيونية العالمية والامبريالية الامريكية*، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

حموته، فاطمة.٢٠١١. *البعد الثقافي في السياسة الخارجية للاتحاد الاوربي تجاه منطقة المغرب العربي بع الحرب الباردة*، الجزائر: جامعة محمد خيضر.

خالد، بن علية.٢٠١٧. "تطور ظاهرة الارهاب في الشرق الأوسط وتداعياتها على امن الدول داعش انموذجا". رسالة ماجستير، جامعة جفلة.

الخثلان، صالح بن محمد.٢٠١٧. *الدين والسياسة الخارجية الروسية*. تركيا: مركز الفكر الاسترتيجي.

خليد، حاكم.٢٠١٥. *صراع القوى الكبرى في الشرق الأوسط من ٢٠٠١-٢٠١٥*، الجزائر: جامعة مولاي طاهر-سعيدة.

دندن، عبد القادر.٢٠١٣. "الاستراتيجية الصينية لامن الطاقة وتأثيرها على الاستقرار في محيطها الاقليمي آسيا الوسطى- جنوب آسيا-شرق وجنوب شرق آسيا". اطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر-باتنة الجزائر٢.

"دستور العراق الصادر عام 2005"
https://www.constituteproject.org/constitution/Iraq_2005.pdf?lang=ar
(تأريخ الدخول في حزيران ١٨، ٢٠٢١).

الربيعي، ولاء محمد علي حسين.٢٠١٦. *الخطاب الدعائي الامريكي ازاء الشرق الأوسط: دراسة تحليلية*. عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع.

روسيل، وولتر. ٢٠٠٦. "هل هي بلد الرب: دور العامل الديني في السياسة الخارجية الامريكية"، *مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات* عدد٢٦:٢٣-٤٠.

رياض، محمد.٢٠٠٦. *الاصول العامة في الجغرافيا السياسية مع دراسة تطبيقية على الشرق الأوسط*، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

سعدي، محمد. ٢٠٠٦. *مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات الى انسنة الحضارة وثقافة السلام*، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

صلاح الدين، محمود. ٢٠٠٧."مفهوم الشرق الأوسط". صوت الوطن. ٣ شباط،٢٠٠٧.
alwatanvoice.com/articles/2007/07/06/95653.html

صحيفة الشرق الأوسط.٢٠٢٠. "تزايد مستمر في اكتشافات الاحتياطي البترولي العالمي".١١شباط،٢٠٢٠.
https://aawsat.com/home/article/2125201

عبد الودود، مثنى قحطان .٢٠١٤."التنافس الدولي على النفط والغاز الطبيعي وأثره على في العلاقات الدولية"، *مجلة تكريت للعلوم السياسية* عدد١: ٤-20.

عدوان، أكرم. ٢٠٠٨. "قضية القدس في قرارات قمم منظمة المؤتمر الإسلامي١٩٦٩-٢٠٠٣" *مجلة جامعة القدس المفتوحة للابحاث والدراسات*، عدد١٢: ٩٠-100.

العفيفي، محمد حسين علي. ٢٠١٢. "مشروع الشرق الأوسط الكبير واثره على النظام الاقليمي العربي". رسالة ماجستير، جامعة الازهر.

الغول، موسى يوسف. ٢٠١١. "تأثير العامل الديني في السياسة الخارجية الامريكية لادارة الرئيس جورج دبليو بوش تجاه منطقة الشرق الأوسط". رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت.

فهمي، عبد القادر محمد.٢٠٠٤. *المدخل الى دراسة الاستراتيجية*، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

قرم، جورج. ٢٠٠٩. *تاريخ الشرق الأوسط منذ الازمنة القديمة الى اليوم*، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

القيسي، وليد.٢٠١٤. "صناعة المفاهيم وتكييف الاتجاهات". كتابات. ٨تشرين الثاني،٢٠١٤.

https://2u.pw/NuCn5

كلير، مايكل.٢٠٠٢. *الحروب على الموارد الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية*، لبنان: دار الكتاب العربي.

لنشوفسكي، جورج. ١٩٥٩.*الشرق الأوسط في الشؤون العالمية*. الجز الاول، بغداد: منشورات دار الكاشف للنشر والتووزيع.

لويس، برنارد.٢٠٠٠. *تنبؤات برنارد لويس مستقبل الشرق الأوسط*، بيروت: شركة رياض الريس للكتب والنشر.

لويس، برنارد.٢٠٠٦. *الهويات المتعددة للشرق الأوسط*، دمشق: دار الينابيع.

مباركة، بورورو. ٢٠١٢. "تأثير الحضارة العربية الإسلامية على اوربا". رسالة ماجستير، جامعة تلمسان.

مداني، ليلى.٢٠١٨. *الاهمية الجيو-اسراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط*، برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

معلوف، امين. ١٩٨٣. *الحروب الصليبية كما رآها العرب*. بيروت: دار الفارابي.

معلوم، حسين. ١٩٩٣. "التسوية في زمن العولمة القطب الامريكي محولات الانطلاق وتحديات المنافسة"، *مجلة السياسة الدولية*، عدد ١١٢:١١٢-١٣٢.

منصور، محمد محمود. ١٩٩٥. *الصراع الامريكي السوفيتي في الشرق الأوسط*، مصر: مكتة مدبولي.

List of references:

Accessed on June 18, 2021.

Abdul-Wadud, Muthanna Qahtan. 2014. "International competition for oil and natural gas and its impact on international relations", Tikrit Journal of Political Science, Issue 1: 420.-

Adwan, Akram. 2008. "The Question of Jerusalem in the Resolutions of the Summits of the Organization of the Islamic Conference 1969-2003" Journal of Al-Quds Open University for Research and Studies, No. 12: 90100.-

Al-Afifi, Muhammad Husayn Ali. 2012. "The Greater Middle East Project and its Impact on the Arab Regional Order." Master's thesis, Al-Azhar University.

Al-Ghoul, Musa Yusuf. 2011. "The Impact of the Religious Factor on the US Foreign Policy of the Administration of President George W. Bush towards the Middle East." Master's thesis, Birzeit University.

Al-Khathlan, Saleh bin Muhammad. 2017. Religion and Russian Foreign Policy. Turkey: The Center for Strategic Thought.

Al-Qaisi, Walid. 2014. Making concepts and adapting trends. writings. November 8, 2014.

Al-Rubaie, Walaa Muhammad Ali Hussein. 2016. The American propaganda discourse about the Middle East: an analytical study. Amman: Dar Ghaida Publishing and Distribution.

alwatanvoice.com/articles/2007/07/06/95653.html

Asharq Al-Awsat Newspaper.2020. "A continuous increase in discoveries of global petroleum reserves." February 11, 2020.

Blessings, Pororo. 2012. "The Impact of Arab-Islamic Civilization on Europe." Master's thesis, University of Tlemcen.

Chomsky, Noam. 2006. Illusions of the Middle East, Arabization of Sherine Fahmy, 2nd Edition, Cairo: Al Sharq International Library.

Claire, Michael.2002. Wars over resources, the new geography of global conflicts, Lebanon: Dar al-Kitab al-Arabi.

Corm, George. 2009. History of the Middle East from ancient times to today, Beirut: Publications Company for Distribution and Publishing.

Dandan, Abdelkader.2013. The Chinese strategy for energy security and its impact on stability in its regional surroundings, Central Asia - South Asia - East and Southeast Asia. PhD thesis, Hadj Lakhdar University - Batna, Algeria 2.

Davutoglu, Ahmed Daoud. 2010. Strategic depth Turkey's position and role in the international arena, Beirut: Arab House of Science Publishers.

Fahmy, Abdel Qader Mohamed. 2004. Introduction to the study of strategy, Amman: Majdalawi House for Publishing and Distribution.

Haddad, Muhammad. 2016. Sectarian and religious polarization in the Middle East, in the book: The Middle East: Shifts of Roles, Interests and Alliances, Abu Dhabi: Emirates Center for Strategic Studies and Research.

Halder, Pangaj.2015" energy in Bangladesh Article in Renewable and Sustainable Energy Reviews" ·https://www.researchgate.net/publication/280805261

https://iea.blob.core.windows.net/assets/ed7af175-8e40-4e14-bde6-510cab88edfc/Oil2021midterm_tables.pdf

Hamouta, Fatima. 2011. The cultural dimension in the foreign policy of the European Union towards the Maghreb region after the Cold War, Algeria: Mohamed Khider University.

https://2u.pw/NuCn5

https://aawsat.com/home/article/2125201

https://www.constituteproject.org/constitution/Iraq_2005.pdf?lang=ar

Hussein, Ghazi. 2005, The Middle East between World Zionism and American Imperialism, Damascus: Arab Writers Union Publications.

International Energy Agency. 2021."Oil 2021 Analysis and forecast to 2026".

Iraq's constitution issued in 2005

Jassim, Nather weddings. 2006. "Turkt Ozal and the Neo-Ottoman Project." Journal of Regional Studies 3 Issue 6: 280-312.

Khaled, Ben Alia. 2017. The development of the phenomenon of terrorism in the Middle East and its repercussions on the security of countries, ISIS is a model. Master's thesis, Jafla University.

Khalid, Hakem. 2015. The Great Power Struggle in the Middle East 2001-2015, Algeria: Moulay Taher-Said University.

Lewis, Bernard. 2000. Bernard Lewis' Predictions for the Future of the Middle East, Beirut: Riad Al Rayes Books and Publishing Company.

Lewis, Bernard. 2006. The Multiple Identities of the Middle East, Damascus: The Springs House.

Lynchowski, George. 1959. The Middle East in World Affairs. Part One, Baghdad: Dar Al-Kashef Publications for Publishing and Distribution.

Maalouf, Amin. 1983. The Crusades as Seen by the Arabs. Beirut: Al-Farabi House.

Madani, Laila. 2018. The geo-strategic importance of the Middle East region, Berlin: The Arab Democratic Center for Strategic, Political and Economic Studies.

Mansour, Mohamed Mahmoud. 1995. The US-Soviet Conflict in the Middle East, Egypt: Madbouly's Mekta.

Mattlin، Mikael and Mikael Wigell (2016) "Geoeconomics in the context of restive" . *Asia Europe Journal* 14 no2: 125–134.

Özal ,Osman Nuri, 2011 "، Where is the Middle East? The Definition and Classification Problem of the Middle East as a Regional Subsystem in International Relations"،*Turkish Journal of Politics* 2.no 2: 6-20.

Prousis, Theophilus C. 1996. *The Eastern Question, 1774-1923*. London and New York: Longman.

Riad, Muhammed. 2006. General Origins in Political Geography with an Applied Study on the Middle East, Cairo: Hendawi Foundation for Education and Culture.

Russell, Walter. 2006. "Is it God's Country: The Role of the Religious Factor in American Foreign Policy", Strategic Fikr Center for Studies, No. 23:26-40.

Ryerson, Bob , 2008،la geoeconomie،Direction. Magazine،17 juin.

Saadi, Mohammed. 2006. The future of international relations from the clash of civilizations to the humanization of civilization and the culture of peace, Beirut: Center for Arab Unity Studies.

Salah El-Din, Mahmoud. 2007. "The Concept of the Middle East". Homeland Voice. February 3, 2007.

Tawfiq, Saad Haqqi. 2011. International competition and energy security. Journal of Political Science Issue 43: 1-30.

Well known, Hussein. 1993. "Settlement in the Time of Globalization, the American Pole, Transformers of Start and Challenges of Competition", International Politics Journal, No. 112:112-132.

World Oil Outlook 14.Organization of the Petroleum Exporting Countries: 11.

Yuan ma،2010 "A Comparative Analysis of US-Russia Middle East Energy Strategy"، *Journal of Middle Eastern and Islamic Studies* 43:81-102. DOI: 10.1080/19370679.2010.12023163